قذائف الأعماق

محمود سالم

قذائف الأعماق

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

قذائف الأعماق

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٠ ٢٥٩٢ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
الشياطين «١٢» فقط	١١
الأخبار ... في مقهى برشلونة!	١٥
وفجأة ... لمعَ ضوء قوي!	٢١
مغامرة مع زورق آخر!	٢٧
نهاية معركة وبداية أخرى	٣٣
الصراع ... بقذائف الأعماق!	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

الشياطين «١٢» فقط

كانت هذه هي المرة الأولى التي يدخل فيها الشياطين إلى قاعة الاجتماعات، وقد نقصوا واحدًا، فمنذ بدءوا مغامراتهم وهم دائمًا «١٣»؛ ولذلك فإنهم عندما أخذوا أماكنهم داخل القاعة، كان هناك سؤال واحد يتردد في أذهانهم: أين ذهب «خالد»؟ وماذا حدث له؟

إنهم يعرفون أن «خالد» قد ذهب في مهمة سرية، لم يخبرهم بها رقم «صفر»، غير أن المدة المحددة له كانت قد انتهت، وهذا ما جعلهم يتساءلون: ماذا حدث له؟ إنه منذ خرج في مهمته السرية لم يرسل رسالة واحدة، لا إلى رقم «صفر» ولا إلى الشياطين، مع أن هذه ليست عادتهم ... وعندما جاءهم استدعاء رقم «صفر» لحضور اجتماع اليوم، كانوا يتوقعون أنه خاص بـ «خالد»، وربما بأخبار جديدة عنه.

طال وقت انتظارهم لوصول رقم «صفر»، حتى إنهم فكروا في أن الأمر ربما قد تطور إلى أسوأ ... وأن «خالد» قد أُصيب في مكان ما ...

نظر «أحمد» حوله ... كان الشياطين لا يزالون في استغراقهم، وعندما فكرت «إلهام» في الكلام، كان صوت أقدام رقم «صفر» أسبقَ منها، فلزمت الصمت وتعلَّقت أبصارُ الشياطين بمصدر الصوت. ظلت أقدام رقم «صفر» تقترب حتى إذا هدأت، جاء صوته مرحبًا بهم: أهلًا بكم في الاجتماع الجديد ...

لم ينطق أحد من الشياطين، فاستمر رقم «صفر»: أنتم تعرفون أن «خالد» قد خرج في مهمة سرية ... وهذه المهمة التي لا تعرفون عنها شيئًا، تتعلق بتلك الانفجارات التي تحدث لبواخر النقل عندما تقترب من جزر «أزورس» في المحيط الأطلنطي.

صمت رقم «صفر»، وأُضيئت الخريطة المُثبَّتة أمام الشياطين. كانت الخريطة توضح جانبًا من قارة أفريقيا وآخر من قارة أوروبا ثم جانبًا من الأمريكتين، حيث يمتد المحيط الأطلنطي بينهما جميعًا ... وانطلق سهم أحمر يقطع الخريطة من أقصى الشرق، ثم يتفرع

إلى فرعين؛ شمالًا وجنوبًا ... إلى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية ... وعند نقطة محددة، ظهرت دائرة صفراء ثابتة ... وجاء صوت رقم «صفر»: هذه هي جُزر «أزورس».

صمت رقم «صفر» مرة أخرى، واختفت الخريطة، ثم ظهر مكانها خريطة أخرى للعالم، وقال رقم «صفر»: حيث تشير الأسهم يكون خط سير البواخر التِّجارية، وهي تقطع العالم لتنقُل حمولاتها من الشرق إلى أوروبا ... وأمريكا ...

ظهرت أسهم حمراء تقطع الخريطة من أقصى الشرق، لتمر في المحيط الهندي ثم بحر العرب ثم البحر الأحمر فقناة السويس فالبحر الأبيض المتوسط، بعدها يتجه السهم إلى أوروبا. أمَّا الفرع الآخر من السهم فكان يمر بمضيق جبل طارق إلى المحيط الأطلنطي ... وعندما يقترب من جزر «أزورس» كان يختفي في مياه المحيط.

ظل الشياطين يراقبون حركة الأسهم على الخريطة، وأخيرًا قال رقم «صفر»: كانت مهمة «خالد» ... هي التوصل إلى معلومات عن شركة النقل البحري التي تحدث الانفجارات في ناقلاتها، خصوصًا في تلك المنطقة القريبة من جزر «أزورس». إنَّ عملاءنا في العالم قد أرسلوا لنا رسالات متعددة عن شركة «أزورس» للنقل البحري، التي تُصاب ناقلاتها بالانفجارات، لكن أحدًا منهم لم يستطع أن يتوصَّل إلى سبب هذه الانفجارات، وهذه كانت مهمة «خالد» ... لقد كانت المدة المحددة له عشرين يومًا، على أن يُوالِيَنا بالرسائل؛ حتى نضع تصوُّرَنا الكامل لما يحدث، إلا أنه لم يَعُد، ولم يُرسل شيئًا ... والمسألة هامة ... سواء بالنسبة لمصير «خالد» ... أو للبضائع العربية التي تنقُلها الناقلات وتذهب إلى المحيط.

وأخذ رقم «صفر» يُقلِّب بعض الأوراق أمامه، بينما كان الشياطين يتابعون كلماتِه وقال: هذه هي مغامرتكم الجديدة ... إن المعلومات لدينا تقول إن شركة «أزورس» للنقل البحري يملكها الثري اليوناني «زوس»، الذي كان يعمل بين أعضاء إحدى عصابات المافيا، لكنه تركها واتجه إلى العمل فوق البواخر التجارية. وبعد عشرين عامًا، ترك العمل فوق البواخر ... وبدأ يعمل وكيلًا للنقل، واستأجر ناقلة متوسطة الحجم، اشتغلت في النيل لمدة ستة أشهر، ثم أصابها انفجار جعلها تتحول إلى قطعةٍ من الحديد.

أُضيئت لمبة زرقاء في أقصى الخريطة، قال رقم «صفر» على إثرها: سوف أترككم لحظة. ثم أخذ صوت أقدامه يبتعد شيئًا فشيئًا حتى اختفى، بينما كان الشياطين في حالة قلقٍ؛ لأنهم حتى الآن لم يتوصَّلوا إلى شيء ... وليس لديهم صورة كاملة للموقف ... واختفاء «خالد» يزيد الموقف تعقيدًا.

قالت «إلهام»: إذا كان «خالد» قد اختفى فهذا يعني أنه وقع في يد عصابةٍ ما ... وربما يكون مسجونًا، أو ...

قاطعتها «زبيدة»: أو اكتُشِفَ أمرُه ... وهذه كارثة!

أحمد: لا أظن أن «خالدًا» يمكن أن يقع ببساطة! من يدري! قد تكون واحدة من ألعاب الشياطين.

نظروا إليه جميعًا، غير أنه لم يُكمل كلامَه، فقد كانت أقدام رقم «صفر» تقترب، وتركزت أبصارُهم في اتجاه مصدر الصوت، وقال رقم «صفر»: إنَّ وجهة نظر «أحمد» سليمة تمامًا!

صمت لحظة ثم قال: جاءتنا رسالة من أحد عملائنا في إسبانيا ... حيث يقع المركز الرئيسي لشركة «أزورس» للنقل. وتقول معلومات الرسالة: إن شركة «أزورس» تقوم بالتأمين على ناقلاتها في أكثر من شركة تأمين، وقد لوحظ أن الناقلات التي تغرق تكون دائمًا قديمة ومستهلَكة؛ بمعنى أنها تكون ضئيلة الثمن ... وتكون قد عَمِلت لسنوات طويلة ... وفي نفس الوقت، فإن قيمة التأمين تكون مرتفعة ... وواضح أن المستفيد من التأمين هو وحده صاحب المصلحة في غرق البواخر!

تناهى إلى أسماع الشياطين صوت أوراق تُقلَّب، ثم قال: من المؤكد أن هناك نقطة ما ... هي التي سوف توضح الموقف كله ... وخبراؤنا في أماكن متعددة من العالم يقومون بالبحث عن هذه النقطة ... وعند كشفها يمكن تحديد المتهم وتوجيه الاتهام إليه.

سكت بعض الوقت، ثم قال: إنَّ مهمتكم تنقسم إلى شقين؛ البحث عن «خالد» ... ثم الوصول إلى سبب انفجار الناقلات في تلك المنطقة ... إن خبراءنا يبحثون عن السبب، وعملاءنا يجمعون المعلومات. وأنتم تعرفون طبعًا جغرافية مغامرتكم، إنها جزر «أزورس» حيث تقع تلك الانفجارات، التي جعلت شركات التأمين على البواخر تصرخ بالشكوى، والتجار العرب يخسرون ملايين الجنيهات.

ثم انقضتْ دقيقة قبل أن يقول: أتمنى لكم التوفيق ... وسوف تجدون تقريرًا كاملًا عن «زوس» وناقلاته وثروته ... عند خروجكم.

مضتْ لحظة، قبل أن تُسْمَع أقدام رقم «صفر» وهي تبتعد، وظلَّ الشياطين في أماكنهم لحظة أخرى، قبل أن يتحركوا للانصراف. ثم فُتِح باب قاعة الاجتماعات، وبدأ الشياطين الـ «١٢» يخرجون. كانوا يشعرون بالغضب لغياب زميلهم «خالد» ... كما كانوا يشعرون بالتحدي لكشف السر ... وفي قاعة الاجتماعات الصغرى جلس الشياطين يحددون المهام المطلوبة من كل منهم، والفريق الذي سيسافر للمهمة.

قال «بو عمير»: إننا يجب أن ننطلق الآن.

عثمان: فلنحددِ الأشخاص أولًا.

بو عمير: إننا نحتاج إلى المجموعة كلها ... فسوف نغطي مساحة واسعة!

التقت أعينهم دون أن يتوصلوا إلى اتفاق، غير أن «أحمد» قال في النهاية: أعتقد أننا نحتاج لأكثر من مجموعة ... سوف أقترح عليكم وجهة نظري.

أمسك «أحمد» بقلمٍ وبدأ يُخطِّط بعضَ الدوائر، ويرسُم حولها خريطة مبسطة لامتداد المحيط الأطلنطي، ثم نظر إلى الشياطين وقال: يجب أن تبدأ مجموعة منَّا السفر فورًا إلى جزر «أزورس» ... على أنْ تبقى ... وقبل أن يُكمِل جملته ... جاءتهم إشارة سريعة تدعوهم للاجتماع فورًا في قاعة الاجتماعات الكبرى.

فقال «أحمد»: يبدو أن هناك مفاجأةً ما.

الأخبار ... في مقهى برشلونة!

أسرع الشياطين إلى قاعة الاجتماعات التي كانت الإضاءة فيها قد تغيرتْ، فأصبحت أقل حِدَّة. وجلسوا في صمت ينتظرون رقم «صفر» ... كانت هذه الدعوة السريعة مثيرة بالنسبة لهم، فلأول مرة يستدعيهم رقم «صفر» مرتين ... في أقل من نصف ساعة. واقتربت أقدام رقم «صفر» ... ثم جاء صوته في النهاية: لقد وصَلَنا تقرير من عميلنا في جنوب شرق آسيا ... يقول: إن ناقلة ضخمة من ناقلات البترول التابعة لشركة «أزورس» للنقل البحري قد أُصيبت بلغم مائي فانفجرتْ، ولا تزال النيران مشتعلة فيها حتى الآن ... رغم أن الانفجار قد حدث منذ أكثر من عشرين ساعة، وأن سطح الماء لا يزال مشتعلًا نتيجة لطبقة البترول العائمة على السطح.

وعندما سكت رقم «صفر» سكت كل شيء ... وكانت اللحظة غير مشحونة بالتفكير ... أخيرًا قال: إن هذا يعني أن أعمال التخريب بدأت تظهر في أماكنَ أخرى ... وهذا ما يجعل عبء مهمتكم أكبر ... لكنه واجب قومي.

لمعت لمبة حمراء أمام الشياطين، فعرفوا أن هناك رسالة عاجلة وهامة، ثم أخذت أقدام رقم «صفر» تبتعد، فالتقت أعين الشياطين. إن المغامرة سوف تُغطِّي العالمَ كله إذن. فما دامت قد ظهرت أعمال جديدة في مياه آسيا، فهذا يعني أنها سوف تظهر في أماكن أخرى، حيثما تعمل ناقلات الثريِّ اليوناني «زوس».

طالتْ دقائقُ الانتظار ... وكان كل واحد من الشياطين يُفكِّر في الموقف بطريقته. ومضت دقائق أخرى، ثم بدأت أصوات أقدام رقم «صفر» تقترب ... ركز الشياطين انتباههم، ثم جاء صوت رقم «صفر»، وكان يبدو هادئًا: رسالة من «خالد»!

اهتزَّ الشياطين لسماع تلك الجملة، والتقت أعينهم عند «أحمد»: إنها إذن إحدى ألاعيب الشياطين. قال رقم «صفر» بعد لحظة: إن الرسالة ليست طويلة ... غير أنَّ المعلومات مطَمْئنة ... إنه يقول: إن السمكة قد اقتربت من السنَّارة، وإنه يحتاج لبعض الصيادين.

فهِم الشياطين مضمون رسالة «خالد»؛ أنه قد توصل إلى النقطة التي كانوا سيخرجون من أجل البحث عنها ... لقد وضَحَت المغامرة إذن.

ثم قال رقم «صفر»: موعد اللقاء الساعة الثانية صباحًا في المقر السري ... في برشلونة!

وأُضيئت الخريطة، وظهرت دائرة خضراء ... وفي خطٍّ موازٍ لها ظهرت دائرة أخرى حمراء. كانت الأولى تشير إلى برشلونة في إسبانيا، وكانت الثانية تشير إلى جزر «أزورس».

قال رقم «صفر»: هل هناك أسئلة؟

مضت لحظة صمت، ثم قالت «زبيدة»: وماذا عن انفجار جنوب شرق آسيا؟ ...

رقم «صفر»: إن اكتشاف سبب واحد يعني اكتشاف الأسباب الأخرى ... إن الناقلات المصابة تابعة لجهة واحدة، وهذا يعني أن العملية واحدة أيضًا!

صمت لحظة، ثم قال: يجب أن تنطلقوا الآن مباشرة، أتمنى لكم التوفيق.

عندما بدأت أقدام رقم «صفر» تبتعد، كان الشياطين يأخذون طريقهم بسرعة للخروج من القاعة. ولم تمضِ لحظات حتى كانت الأبواب الصخرية للمقر السري تُفْتَح لتخرج منها سيارة واحدة، تنقُل أربعةً من الشياطين؛ هم «أحمد» و«بو عمير» و«باسم» و«مصباح» ... في نفس اللحظة كان الباقون يستعدون ... فربما احتاج الأمر لسفرهم إلى نقطة انفجار جديدة ...

كان الوقت يمر سريعًا على بقية الشياطين في المقر، فنظرت «إلهام» في ساعة يدها وقالت: لقد وصلوا برشلونة الآن!

وتمامًا كما حددت «إلهام» كانت الطائرة تنزل في مطار برشلونة الدولي، ليأخذ الشياطين الأربعة طريقهم إلى خارج المطار. وكانت الساعة تدق الواحدة، عندما وقفوا عند الباب الخارجي للمطار، يشيرون إلى تاكسي، وعندما دقت الساعة الواحدة والنصف تمامًا، كانوا ينزلون من التاكسي أمام باب المقر السري.

قال «باسم»: لا بدَّ أن «خالد» بالداخل الآن!

قال «بو عمير» بحبٍّ: لقد أَوْحَشَني كثيرًا!

وتتابعت خُطُواتهم السريعة إلى الداخل. كان المقر السري هادئًا ... ولم يكن ثمة صوت لشيء؛ اللهمَّ إلا صوت السيارات والمارَّة في الخارج، كانوا يسمعونه بين لحظةٍ وأخرى ...

قال «مصباح»: ربما يكون نائمًا الآن، فالوقت متأخر.

أطلق «أحمد» صفير الشياطين المتقطع وهو يشبه صوت البومة، لكن أحدًا لم يرد، وأعاد الصفير مرة أخرى، لكن أحدًا لم يردَّ أيضًا ... التقت أعين الشياطين، وتقدم «باسم» من حجرات النوم، وفتح إحداها ... إلا أنه لم يجد شيئًا.

فجأة، أُضيئت لمبة حمراء في جهاز الاستقبال الرئيسي للمقر؛ فعرف الشياطين أن هناك رسالة. أسرعَ «أحمد» إلى الجهاز وبدأ يتلقَّى الرسالة: من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س» ... آسف لتأخيري، إنني في المصيدة ... السمكُ كثير.

أدرك «أحمد» ما يقصده «خالد»، ونقل الرسالة إلى بقية الشياطين، فقال «مصباح»: لكن ... أين «خالد» الآن؟! إننا نحتاج إلى معلومات أكثر.

«بو عمير»: المؤكد أنه إذا وجد الفرصة ... فسوف يرسل ما لديه من معلومات.

ظل الشياطين في حالة صمت كاملة ... لم يكن أمامهم ما يمكن أن يتحركوا من أجله ... لكن الوقت لم يَطُل ... فقد جاءتهم صَفَّارة الشياطين، التي تعني أن «خالد» قد وصل. وقبل أن يتحرك أحدهم، كان «خالد» يقف أمامهم في ملابس البحَّارة. تَعانَقَ الشياطين، وقال «باسم»: لعلك جائع الآن!

ابتسم «خالد» وقال: لقد أكلت لتوي مع الزملاء ... أخشى أن تكونوا أنتم جوعى!

أحمد: لا ... إننا فقط جوعى للمغامرة!

وبدأ «خالد» يحكي لهم رحلته كلها منذ بدأت ... وكيف أنه اضطُر إلى الصمت حتى يصل إلى ما يريد. لقد استطاع في النهاية أن يعمل في شركة «أزورس» نفسِها، لكن عمله كان لا يزال على الشاطئ دون السفر على إحدى الناقلات الكبيرة ... لكنه في النهاية استطاع أن يكسب ثقة الكابتن «بال»، الذي يعتبر أقدم قباطنة السفن في الشركة، والرجل الأول عند «زوس» صاحب الشركة، ولقد وعده «بال» برحلةٍ على السفينة الجديدة «لايت» التي سوف تنزل الماء قريبًا ...

قال «مصباح»: هل نستطيع أن نجد عملًا في الميناء؟

خالد: سوف أُدبِّر ذلك خلال أيام، ولقد أخبرت الكابتن «بال» أن لي زملاءَ يحتاجون للعمل، لكنه لم يرد، وإن كان قد نظر لي طويلًا، ثم ابتسم وانصرف!

بو عمير: هل نستطيع دخول الميناء، أو أن هناك محظورات على الدخول!

خالد: سوف أحصل لكم على تصاريح دخول غدًا، حتى تبدوَ المسألة طبيعية!

أحمد: هل رأيت «زوس»؟

خالد: نعم، مرة واحدة. إنه شخصية مثيرة ... فهو لا يتحدث كثيرًا؛ إنما عيناه هما اللتان تتحدثان! والكابتن «بال» يفهم حديثه الصامت جيدًا.

تحدَّث «خالد» كثيرًا عن «زوس»، فقال إنه متقدم في السن، أبيض الشعر تمامًا، قوي البنيان، عيناه كالصقر، لا يدخن ... يلبس دائمًا بدلة «جينز» زرقاء وحذاءً خفيفًا، لا يبدو عليه الثراء رغم ثرائه الفاحش.

وسهِر الشياطين في أحاديثَ متناثرة، حتى استغرقوا في النوم. وعندما استيقظوا في الصباح، لم يجدوا «خالد» الذي ترك لهم رسالة كتب فيها: الشياطين ... صباح الخير، سوف أرسل لكم رسالة عند الظهيرة.

نظر «أحمد» في ساعة يده ثم قال: لا يزال الوقت مبكرًا ... يمكن أن نخرج في جولة حتى يحين موعد الرسالة.

لم تمضِ دقائقُ قليلة ... حتى كانوا يأخذون طريقهم إلى خارج المقر، الذي كان قريبًا من الميناء، وقال «باسم»: هل نذهب إلى هناك؟ ولم يرد أحد من الشياطين، كانوا يسيرون ببطء ... أخيرًا قال «أحمد»: يمكن أن نذهب إلى مقهًى من المقاهي التي تتناثر بجوار الموانئ. إنها مفيدة؛ فطالما حصلنا على معلومات من مقاهي الموانئ ... كما حدث في مغامرة القرصان.

اتجهوا إلى الميناء، كانت المقاهي تبدو صغيرة وقد ازدحمت بالبحَّارة، ودخلوا مقهًى مكتوبًا عليه «برشلونة»، وعندما أخذوا أماكنهم حول منضدة مستديرة، جاءهم الجرسون بسرعة، فطلبوا شايًا ... ثم أخذت آذانهم تتنصَّت لأحاديث البحارة التي كانت تملأ المكان ... كانت الأصوات مرتفعة كعادة البحارة عندما يتحدثون، قال أحدهم: لعل الرحلة تكون هادئة هذه المرة.

فردَّ عليه آخر: هل تصل المركب الليلة؟

ردَّ الأول: لقد كانت رحلة سيئة، تلك التي حدث فيها الانفجار!

الثاني: كانت خسائر الرجال قليلة!

استرعى انتباهَ الشياطين حديثُ البحارة، وكان واضحًا أنهم يتحدثون عن إحدى ناقلات «أزورس». التقت أعينهم ... غير أن أحدًا منهم لم ينطق بكلمة. واستمر حديث البحارة حتى وقف أحدهم قائلًا: سوف أتغيب قليلًا، ثم أعود.

ضحك آخر وقال: إيَّاك أن تتزوج هذه المرة!

ردَّ ضاحكًا هو الآخر: إن عملية الانفجارات تجعلني أتراجع عن التفكير في الزواج ... وإلا فسوف يصبح الأولاد بلا أب! ثم خرج.

تأكد للشياطين أن هؤلاء البحارة يعملون في شركة «أزورس» للنقل البحري ... فهمس «باسم»: إنها فرصة طيبة، لو تحدَّثنا إلى واحد منهم!

فقال «مصباح» فجأة بصوت مرتفع نوعًا: إن انفجار شرق آسيا ... يعتبر كارثة، فالناقلة ضخمة هذه المرة.

لفت نظر البحارة ما قاله «مصباح» الذي استمر في قوله: إن البحارة بدءوا ينسحبون من شركة «أزورس» هذه الأيام!

فجأةً وقف أحد البحارة ... ثم أخذ طريقه إلى الشياطين، حتى إذا اقترب منهم، ألقى عليهم تحية الصباح، ثم قال: هل يسمح الزملاء؟ ثم جلس، فنظر «أحمد» بسرعة إلى الجرسون، ثم أشار إليه، غير أن الرجل قال: لا داعي، لقد كنت فقط أريد أن أسألكم ... من أين لكم هذه الأخبار؟

رد «بو عمير»: إن الصحافة العالمية تتحدث كثيرًا في هذه المسألة ... فقد كثرت الانفجارات في الفترة الأخيرة.

سأل الرجل: وكيف عَرَفتَ أن البحارة ينسحبون؟

قال «أحمد» بسرعة: لقد قرأت إعلانًا تطلب فيه الشركة بحارة جددًا ... وهذا يعني أن الذين يعملون لديها ينسحبون.

هزَّ الرجل رأسه وهو يقوم قائلًا: هذا حقيقي ... إنك شاب ذكي. ثم انصرف.

تشاغل الشياطين في أحاديث مختلفة، حتى لا يلفتوا النظر. ولم تمر لحظات حتى كان «أحمد» يدفع للجرسون الحساب، ثم انصرفوا. وفي الطريق قال «باسم»: كان ينبغي أن نستغل الفرصة.

أحمد: أخشى أن نلفت نظر أحد. فمن المؤكد أن «زوس» له عيون كثيرة في كل مكان، خصوصًا في الأماكن التي يتردد عليها البحارة.

أخذوا طريقهم إلى المقر السري، وكان وقت الظهيرة قد اقترب. وعندما فتحوا الباب كانت إشارات جهاز الاستقبال في انتظارهم، فأسرع «أحمد» إلى الجهاز ... كانت هناك رسالة من «خالد»: استعدوا ... الهواء يملأ الشراع ... فنظر «أحمد» إلى الشياطين، ثم ابتسم قائلًا: الريح في صالحنا.

سأل «باسم»: ماذا تعني؟

أحمد: سوف ندخل المصيدة!

هزَّ «باسم» رأسه، فقد فهِم ماذا يعني «أحمد».

وفجأة ... لمعَ ضوء قوي!

شَرَدَ الشياطين، وكان كل منهم يفكِّر في المصيدة التي سيدخلونها ... لم يكن أحد منهم يعرف متى يعود «خالد»، فهو لم يحدد لهم الوقت، وهم أيضًا لا يستطيعون عمل شيء، ما دام «خالد» لم يقدِّم لهم خطة ما، كانت المسألة مسألة وقت. ولذلك، فقد قام «مصباح» وأحضر رقعة الشِّطْرنج ... ثم نظر إلى «أحمد» قائلًا: ما رأيك؟ هزَّ «أحمد» رأسه وقال: لا بأس!

التفَّ الشياطين حول رقعة الشِّطْرنج ... وبدأت المباراة. لكن لم يكد «مصباح» يحرك أول عسكري، حتى أُضيئت لمبة جهاز الاستقبال. أسرع «باسم» لتلقِّي الرسالة، وكانت من «خالد» ... «تَغيَّر الموقف ... الرياح أسرع ... مصيدة جديدة فتحَتْ فمها!» نقل «باسم» الرسالة إلى الشياطين. كانت الرسالة غامضة ... غير أنَّ «أحمد» شرَدَ قليلًا ثم قال: هل تذكرون كلمات البحار الذي سأل إن كانت المركب ستصل الليلة؟ ... أعتقد أن هذه هي معنى الرسالة.

قال «مصباح»: هذا يعني أننا قد نتحرك الليلة!

صمت الشياطين، غير أن «أحمد» نظر إلى رقعة الشِّطْرنج، فاستغرقوا في المباراة من جديد. ولم يشعر الشياطين بالوقت ... فقد استغرقت المباراة ساعتين. ولم يكد «مصباح» يتمطَّى وهو يرفع أصبعيه علامة الانتصار لـ «أحمد» ... حتى كان «خالد» يدخل عليهم ... فعقدوا اجتماعًا سريعًا. قال «خالد»: هناك باخرة نقل بضائع ... تصل الليلة، وسوف يتغير طاقم البحارة الذي عليها بطاقم جديد يكمل الرحلة ... حيث تكمل الباخرة رحلتها إلى ميناء بوسطن في الولايات المتحدة. لقد عرفت من الكابتن «بال» أن عملية تغيير طاقم البحارة نظام تسير عليه ناقلات «زوس»، وهناك بحارة لشرق الرحلة وبحارة لغربها!

صمت «خالد» قليلًا، في نفس اللحظة قال «بو عمير»: إن هذه هي نفس كلمات البحارة فعلًا.

نظر «خالد» إلى الشياطين. فأخبره «أحمد» بالحديث الذي سمعوه في المقهى، فقال «خالد»: لقد اتفقتُ مع الكابتن أن أكون على ظهر الباخرة معه، فهو الذي يقود الباخرة في نصف الرحلة الغربي.

وسكت «خالد» لحظة ... كانت أعين الشياطين تركز على شفتيه. أخيرًا قال: لقد أعدتُ كلامي مع الكابتن لتعملوا معنا ... فوافق على أن تعملوا في تموين البواخر مؤقتًا، ثم يبحث عملية نزولكم إلى البحر.

قال «أحمد»: سوف تكون وحدك في الباخرة، وهذا سوف يجعل المدة طويلة، إن خطتنا أن تمر الباخرة في سلام، وهذا يحتاج إلى معرفة خط سير الباخرة في رحلتها.

سكت «أحمد» قليلًا، ثم قال: إننا نعرف أن الانفجار يتم عند جزر «أزورس» وسوف نسبق رحلة الباخرة ... وعليك أن تحصل على خريطة الرحلة، وموعد قيام الباخرة.

خالد: سوف ألتقي الليلة بالكابتن. وصمت لحظة ثم قال: عليَّ الآن أن أُتمِّم على طاقَم الباخرة، وأتأكد من تموينها. ثم وقف وأكمل: موعدنا الليلة لنبدأ عملنا.

جلس الشياطين صامتين، حتى قال «مصباح»: إننا نحتاج إلى زورق بخاري، ولا بدَّ أن نعده من الآن ... حتى إذا وصلتنا خطة الرحلة انطلقنا.

لم يرد أحد من الشياطين، وقام «أحمد» بعد لحظة إلى التليفون، ثم طلب رقمًا لأحد عملاء رقم «صفر» في برشلونة، ولم يكد الرنين يبدأ حتى سمِع «أحمد» صوت المتحدث يقول: أهلًا بكم في برشلونة. هل هناك شيء؟

أحمد: نعم ... نحتاج الليلة إلى زورق بخاري مجهز للإقلاع في أية لحظة!

صمت الصوت الآخر قليلًا، ثم أخيرًا قال: في الاتجاه رقم ٥ الساعة ١٦ سوف يكون المطلوب جاهزًا.

شكره «أحمد»، ثم وضع سماعة التليفون، ونظر إلى الشياطين وقال: إذا تأخرت رسالة «خالد» حتى الساعة ١٦ فإنَّ علينا أن ننطلق إلى الاتجاه رقم ٥.

نظر «باسم» في ساعة يده، ثم قال: لا يزال الوقت مبكرًا ... وما كاد ينتهي من جملته، حتى كانت هناك رسالة من «خالد»: يتحرك القطار مع مطلع الشمس ... يمرُّ بالنقط ٣٢ و٣٦ و٤٨ ... حركة الفأر ٤ ... المصيدة داخلها.

عرف الشياطين ماذا يعني «خالد». كان معنى الرسالة أن الباخرة سوف تتحرك في اتجاه جزر «أزورس»، وأنها ستسير بسرعة ٤ عُقَد في الساعة، وأنه سيكون بمفرده فيها ...

كان من الضروري أن يعرف الشياطين إن كانوا سيلتقون بـ «خالد» قبل السفر أم لا؟ فقال «مصباح»: هل نرسل له رسالة؟

رد «أحمد»: علينا أن ننتظر، فإذا تأخر أرسلنا له رسالة!

لم يكن أمام الشياطين عمل شيء، إلا أن «بو عمير» قال: أعتقد أننا سوف نحتاج إلى معدات الأعماق؛ فالمسألة ببساطة أن هناك من يزرع ألغامًا في طريق الباخرة، أو أن هناك غواصة تفعل نفس الشيء.

تحرك الشياطين بسرعة، وبدءوا يُعدون ما يحتاجونه خلال رحلتهم ... وانقضى الوقت حتى إن «باسم» لفت نظرهم إلى ذلك، فأسرع «أحمد» بإرسال رسالة إلى «خالد» ليتأكد إن كانوا سيلتقون به أم لا.

ظل الشياطين ينتظرون الرد، إلا أن الرد تأخر. لم يزعجهم ذلك، فقد قال «أحمد»: لا بد أنه لا يجد الفرصة للرد ... هيَّا بنا.

خلال لحظات كان الشياطين يأخذون طريقهم إلى الموقع الذي حدده عميل رقم «صفر». كانت الشوارع هادئة في ذلك الوقت المتأخر ... وكان الليل يحمل برودة تبعث النشاط في الأجساد ... كانوا ينطلقون في هدوء، وقد فتحوا نوافذ السيارة. بدءوا يسمعون صوت الموج عند ارتطامه بالشاطئ ... أخذوا يتنفسون بعمق، واقترب الصوت أكثر ... حتى إذا وصلت السيارة إلى الشاطئ كان هناك زورق يقف وحيدًا. تلفَّت الشياطين حولهم. لم يكن هناك أحد. نظر «أحمد» في ساعته ثم قال: لا يزال أمامنا نصف ساعة حتى يمكن أن ننطلق ...

قال «مصباح» في هدوء: سوف أعود بالسيارة إلى المقر، ثم ألحق بكم. لم يرد أحد من الشياطين ... إلا أنهم بعد لحظاتٍ كانوا يأخذون طريقهم إلى الشاطئ مغادرين السيارة ... وانطلق «مصباح» بالسيارة في سرعةٍ. ظلوا يتتبعونه حتى اختفى، فاستداروا إلى حيث تمتد مساحة من الأراضي إلى داخل المياه، وحيث يقف الزورق، حتى إذا وصلوا إلى هناك قفز «بو عمير» أولًا، ثم تبِعَه الآخرون.

كان الموج هادئًا ... نزلوا يتنقلون في أنحاء الزورق ... كان متوسطَ الحجم ... مفروشًا بطريقة بديعة، حتى إن «باسم» قال: إنها لرحلة ممتعة.

أدار «أحمد» محرك الزورق، فارتفع الضجيج ... تقدَّم به، ثم انطلق في دائرة واسعة ... وقال: إنه جاهز تمامًا.

لم يكد يعود إلى نقطة الانطلاق حتى رأى «مصباح» يعود وحيدًا، وأطلق لهم صفير الشياطين، فرد عليه «أحمد»، ثم اقترب «مصباح» حتى أصبح أمام الزورق تمامًا، ثم قفز

إليه. ونظر «أحمد» في ساعته، ثم استدار بالزورق وانطلق. كانت عيناه فوق البوصلة التي حددت له اتجاه النقط ٣٢ و٣٦ و٤٨ … كما حدد «خالد» في رسالته.

أخذ الزورق انطلاقه إلى عمق المحيط … وبدأت أضواء مدينة برشلونة تتضاءل. كان الشياطين يرقبون الأضواء التي تشبه عِقدًا من النور … وأخذت تصفر، وتصفر … فجأة قال «أحمد»: إن أجهزة الإنذار في الزورق تُنبئ عن عاصفة في الطريق.

نظر الشياطين إلى بعضهم، ثم بدءوا يستعدون. إن احتمالات العاصفة يمكن أن تكون أكبر مما يتصورون. والتفُّوا جميعًا حول «أحمد» الذي كان يأخذ طريقه إلى غرفة جهاز الاستقبال فقال: الزورق قوي … وأعتقد أنَّ العاصفة لا تستطيع تحطيمه.

بدأت الأمواج ترتفع، ومعها أخذ الزورق يهتز. وصل «أحمد» إلى مكان جهاز الاستقبال، فعرف أن هناك رسالة … بدأت دقات الجهاز، وبدأ «أحمد» يتلقى الرسالة … كانت تقول: لقد تحرك الحوت … إنه في الطريق إلى الطُّعْم. نقل الرسالة إلى الشياطين، ولم يكد ينتهي من كلامه حتى ارتطمت موجة عنيفة بالزورق … جعلته يهتز كالريشة. تماسك الشياطين في أماكنهم، واستمرت اهتزازات الزورق حتى قال «أحمد»: يبدو أنها عاصفة عاتية!

سأل «باسم»: هل تبعد أول نقطة عنا كثيرًا؟

نظر «أحمد» إلى البوصلة التي أمامه وقال: إنها تبعد — حسب جهاز السرعة — حوالي نصف ساعة.

فجأة لمعت لمبة حمراء أمام «أحمد». وعندما قرأ ما تشير إليه اللمبة، عرف أن هناك جسمًا صُلبًا سوف يعترض طريقهم، فانحرف جهة اليمين، واستمرَّ في انطلاقه، وانطفأت اللمبة الحمراء فدار دورة واسعة، ثم عاد إلى نفس الطريق … بدأ جرس إنذار يدق فقال «أحمد»: يبدو أن أمامنا شيئًا غريبًا!

سأل «بو عمير»: ماذا تقصد؟

أحمد: أخشى أن تكون إحدى البواخر وقد أطفأتْ أنوارها!

أبطأ من سرعة الزورق، وكان جرس الإنذار لا يزال يدق … أبطأ السرعة أكثر … حتى كاد يتوقف … ضغط على الكشافات الأمامية، فغرِقت مياه المحيط في الضوء إلى مسافة بعيدة. ثم فجأة ظهر جسم أسود … تقدَّم في اتجاهه ببطء، حتى إذا أصبح قريبًا منه انحرف يمينًا، ثم رفع السرعة، ودار نصف دورة … إلا أنه ما كاد يعود إلى نفس الطريق، حتى دقت أجراس الإنذار، التي كانت قد توقفت … أبطأ السرعة مرة أخرى … ثم أخذ

طريقه في هدوء إلى الجسم الأسود، الذي لم يكن محددًا حتى هذه اللحظة ... فجأة ... اختفى الجسم في مياه المحيط ... وظلت أجهزة الإنذار في انطلاقها.

قال «مصباح»: مسألة غريبة! هزَّ «أحمد» رأسه وقال: يبدو أنه حوت ضخم، ويبدو أنه لا يزال تحت سطح الماء، ما دامت الأجهزة مستمرة في انطلاقها.

انحرف من جديد إلى اتجاه مختلف، غير أن الأجهزة ظلت تدق ... فجأة، لمع ضوء في الظلام، فكشف الزورق كله ... وجاءتهم كلمات تقول: اتجهوا ناحية الضوء!

نظر الشياطين إلى بعضهم ... ثم أخذ «أحمد» اتجاه الضوء وتقدم بالزورق. لم يكن أحد منهم يعرف ماذا يعني هذا النداء.

مغامرة مع زورق آخر!

كان الضوء شديدًا، حتى إن الشياطين عندما تقدموا، جاءت لحظة لم يستطيعوا فيها أن يفتحوا عيونهم. لقد أغلقوها لشدة الضوء، وفي النهاية لم يستطع «أحمد» التقدم بالزورق، فتوقف مكانه ... واستخدم أجهزة النداء، قال: أطفئوا الضوء ... إنني لا أرى شيئًا!

جاءه النداء: «ابقَ مكانك.» فتح عينيه بعد لحظة، فلم يرَ شيئًا ... كانت هناك كتلة من السواد تُخفي كل شيء. في نفس الوقت كان الزورق يكاد ينقلب. استخدم أجهزة التنبيه ... غير أن الزورق ظل يتمايل. فجأة ... كان الزورق يقف فوق الكتلة السوداء. أرسل «أحمد» ضوءًا متقدمًا في اتجاهه ... استخدم أجهزة النداء: يبدو أننا نقف فوق حوت ضخم!

جاءه النداء: هذا صحيح، تصرف بحذر، وإلا هلكت!

ضغط «أحمد» جهاز إطلاق القذائف فتمايل الزورق بشدة. ثم بدأ يلمس سطح الماء ... إلا أن الاهتزاز اشتد، حتى كاد الزورق ينقلب، رفع السرعة فانطلق الزورق بعيدًا عن نقطة الدوَّامات التي كانت تزداد، ومع اختفاء الجسم الأسود ... أضاء كشافات الزورق، فلمعت الدماء التي كانت تنفجر من باطن المحيط إلى السطح ... وفي هذه اللحظة ... تأكد الشياطين أنهم كانوا أمام حوت ضخم ... فجأة ... وجد «أحمد» نفسه أمام زورق كبير، فأوقف المحركات، وتوقف زورقهم.

جاءه نداء الزورق الآخر: هل أنت وحدك؟ أجاب: معي زملاء!

اقترب الزورق الآخر حتى لامس زورق الشياطين، وظهر ضابط بحْري، قال: مَن أنتم؟ أجاب «أحمد» بسرعة: إننا من هواة الصيد.

الضابط: وإلى أين؟

أحمد: إلى جزر «أزورس» للصيد.

الضابط: إنها منطقة خطرة!

ثم بعد لحظة أضاف: هل معكم تصاريح؟

نظر الشياطين إلى بعضهم، لم يكن أحد منهم قد فكَّر في هذا الموقف ... غير أن «أحمد» مدَّ يده إلى تابلوه الزورق وفتحه، فإذا بعض الأوراق فيه، فتحها وقرأها بسرعة، ثم قال: نعم!

نظر إليه الشياطين، وقال الضابط: هل يمكن أن أراها؟

أعطى «أحمد» التصاريح إلى «باسم» الذي استطاع أن يقرأها بسرعة، وهو في طريق تقديمها إلى الضابط.

أخذ الضابط التصاريح، ثم قرأها، وأعادها إلى «باسم» قائلًا: إن منطقة جزر «أزورس» خطرة هذه الأيام، ويجب أن تحذروا!

ابتسم «باسم» وشكره، فقال الضابط: يمكن أن تستمروا، لقد هدأت العاصفة الآن، ولكن يبدو أن هناك عواصف أخرى في الطريق، فخذوا حذركم.

أطلق زورق الشرطة البحْرية صَفَّارةَ تحية للشياطين ... فرد عليه «أحمد» مثلها، ثم انطلق بالزورق.

ظل الشياطين في انطلاقهم، ولم يكن أمامهم شيء ... سوى اتساع المحيط الهادئ الآن. وشيئًا فشيئًا ... بدأ ضوء الفجر يظهر، فبدت المياه غامقة اللون. كان الفجر بديعًا، حتى إن الشياطين أخذهم المنظر، فاستغرقوا فيه ... كان الزورق ينطلق في سرعة ... فجأة، دق جهاز الاستقبال في الزورق. ابتسم «بو عمير» وقال: يبدو أن «خالد» يرسل تحية الصباح!

أخذ «بو عمير» يتلقى الرسالة، غير أن الدهشة ملأت وجهه، حتى إن الشياطين ركزوا أبصارهم عليه ... وما زالت الدهشة تملأ وجهه: هناك رسائل متبادلة بين اثنين!

نظر له «أحمد» قليلًا، ثم قال: «مصباح» ... تعالَ مكاني!

انتقل «مصباح» إلى عجلة القيادة، وجلس «أحمد» أمام جهاز الاستقبال ... كانت هناك رسالة شفرية إلى مكان ما. كانت الرسالة هكذا: س ١٣ . س ٢٤ . ع . ٨-٣-٣٠٦. سجل «أحمد» الرسالة ثم أخذ يقرؤها ... ونقلها إلى الشياطين. استغرقوا في التفكير فيها، إلا أن أحدًا منهم لم يصل إلى حلها.

قال «بو عمير»: يجب إرسالها إلى رقم «صفر»!

ردَّ «أحمد»: هذا أسرع بالنسبة لنا. وبسرعة استخدم جهاز الإرسال الخاص بالشياطين، ثم أخذ يرسل الرسالة: من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر»، سجلنا هذه الرسالة ... ثم أرسلها، وانتظر قليلًا، فجاءه الرد: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»، حُوِّلت إلى مركز حل الشفرة، سوف نرسلها إليكم بعد قليل!

ظل «أحمد» ينظر في الشفرة التي أمامه ... كانت معقدة تمامًا. فجأة، قال «مصباح»: هناك رسالة أخرى ... إن المؤشرات أمامي تشير إلى ذلك!

بدأ «أحمد» يسجل الرسالة. كانت هي الأخرى رسالة شفرية، فسجَّل الآتي: س ٨ . ١٣ . ٥٤ . ٥ . ٩-١٠٢.

قال «أحمد»: هناك رقم مشترك بين الاثنين، هو رقم التخاطب، وهو س ١٣. وصمت لحظة، ثم أرسل الرسالة الشفرية إلى رقم «صفر» الذي رد: انطلقوا كما أنتم ... الرسالة وردُّها سوف تكون أمامكم بعد قليل!

كان النهار قد طلع ... وبدا سطح المحيط لامعًا تحت أشعة الشمس الوليدة، وكان الشياطين يشعرون بالإرهاق ... قال «أحمد»: إن الرحلة لا تزال طويلة، ونحتاج إلى الراحة ... سوف نقسم أنفسنا إلى فريقين ... واحد يسهر والآخر ينام.

رد «مصباح» بسرعة: سوف أبدأ أول نوبتجية ... عليكم بالنوم لمدة ساعتين، ثم أوقِظ اثنين منكم، ويبقى واحد ينام أربعة ساعات، ثم يوقظه أحد الاثنين لنيام مكانه ... وهكذا.

تحرك الثلاثة، وأخذ كل منهم مكانًا، واستغرق في النوم ... كانت الساعة السادسة صباحًا، ولم يكن هناك أي صوت سوى ارتطام الموج بالزورق ... وكان النوم يُداعب عينَيْ «مصباح»، فمدَّ يده وأدار جهاز الراديو المُثبَّت في تابلوه الزورق، فانبعثت منه موسيقى هادئة، حرك المؤشر حتى عثر على محطة تذيع موسيقى صاخبة، فابتسم وقال في نفسه: إنها ستدفعني إلى اليقظة!

كان «مصباح» يتذكر أيام الإجازة التي كان يقضيها الشياطين في القاهرة ... والسهرات التي كانوا يخرجون إليها تحت سفح الهرم ... وأخذ يدندن بأغنيات على نفس إيقاع الموسيقى.

مرت نصف ساعة و«مصباح» في قيادته للزورق يُسلِّي نفسه بأغنيات مختلفة، وفجأة أضاء جهاز الاستقبال في الزورق ... عرف أن هناك رسالة من مكان ما، فقال في نفسه: إما أنها من «خالد» ... أو من رقم «صفر» ... أبطأ من سرعة الزورق، ثم بدأ بتلقي الرسالة، كانت تقول: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س». الرسالة تعني أن الناقلة قد تحركت، وأنها سوف تصل إلى المكان المحدد لها في الثانية عشرة تمامًا. عليكم بإطلاق القذائف، كل شيء مُعَد. أما الرسالة رقم ٢ فهي تعني: وصلت التعليمات، سوف نقوم بالتنفيذ. نحن في الانتظار. س ١٣ هو رقم التخاطب ...

ابتسم «مصباح» فقد تذكر أن «أحمد» قد استنتج رقم التخاطب، فرد على الرسالة: من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر». عُلِم!

مرت الساعتان، وابتسم «مصباح»، وأطلق صَفَّارة من صَفَّارات الإنذار، حتى يستيقظ أحدهم. لكنه فجأة رآهم جميعًا أمامه. قال: صباح طيب للشياطين. ثم أخبرهم برسالة رقم «صفر» وقال في النهاية: مَن سيتولى القيادة؟ إنني في حاجة إلى النوم.

تقدَّم «أحمد» بسرعة، ثم أخذ مكانه ... حاول «بو عمير» و«باسم» أن يتكلما، إلا أن «أحمد» قال: بعد ساعتين سوف أوقظ «بو عمير». فعاد كلٌّ من الشياطين إلى مكانه.

كانت الشمس قد ارتفعت تمامًا، وبدأ سطح الماء يعكس ضوء الشمس، فأصبح سطح المحيط كالمرآة، كان الزورق في انطلاقه لا يهدأ، وفجأةً لمعت لمبة حمراء أمامه، فنظر إليها وفكَّر بسرعة ... هناك نصف ساعة فقط، ثم ينتهي الوقود ... هذه مسألة مزعجة ... وظل يفكر في حلِّ هذه المشكلة ... إن الرحلة طويلة ولا يمكن أن يكون عميل رقم «صفر» قد نسِيَ شيئًا، أو أنه لم يدرك خطورة المسألة. نظر إلى التابلوه، ثم فكَّر: قد تكون هناك تعليمات مع التصاريح! مدَّ يده، وجذب التصاريح، ثم أخذ يقرأ، وابتسم عندما وجد ورقة مكتوبًا في أعلاها ... «تعليمات».

قرأ التعليمات ثم نظر إلى التابلوه، وأخذ يقرأ ما يشير إلى كل زِرٍّ أمامه، حتى وصل إلى زِرٍّ مكتوب تحته: «وقود إضافي» ... ثم بعده «خزان إضافي». هزَّ رأسه، ثم زاد سرعة الزورق، واستمر في انطلاقه. فجأة، لَفَتَ نظرَه شيء يعلو ويهبط، فرفع المنظار المكبِّر، ثم أخذ يضبط عدستيه، حتى شاهد هذا الشيء. كان زورقًا متوقفًا ... يرفع علامة بيضاء، ففكر: هل يذهب إليه، أم يستمر في طريقه؟ ... وفي لحظة، كان قد اتخذ قراره ... من الضروري أن يذهب إليه، فربما يكون وقوده قد نفِد، وربما تكون هناك مشكلة أخرى.

أخذ اتجاه الزورق، وظل الزورق يظهر أكثر فأكثر ... ثم بدأ الرجال على ظهره يظهرون بوضوح. كان أحدهم يمسك بعَلَمٍ أبيض، وهو يشير به، وكان آخر يمسك مكبرًا للصوت ... ما إن أصبح «أحمد» قريبًا منهم ... حتى أبطأ من سرعة الزورق، وفكر بسرعة هل يدنو أكثر، أم يتحدث إليهم أولًا؟!

قرر في النهاية أن يتحدث إليهم، فأوقف الزورق، ثم تحدَّث في مكبِّر الصوت: ماذا عندكم؟

ردَّ الذي يحمل المكبِّر: اقتربْ ... إننا في حاجة إلى مساعدتك!

أحمد: ماذا عندكم؟

وظهر الشياطين عندما قال الرجل: لقد نَفِدَ وقودنا، ونحن نعمل بالصيد، لقد اكتشفنا أن خزَّان الوقود مثقوب.

فكر «أحمد» بسرعة ... غير أن «باسم» قال: يبدو أنَّ كلامهم غير صحيح!

لم يرد «أحمد» عليهم. فقال الرجل: نحتاج إلى كمية من الوقود فالمركب الكبيرة تقف على بُعد ساعة فقط. وسكت لحظة، ثم قال: أو خذونا معكم أينما تتجهون!

قال «أحمد»: نتجه إلى الشرق!

الرجل: لا يهم ... أي مكان هناك أفضل من وضعنا هذا.

أحمد: ليس لنا مكان محدد نذهب إليه ... إننا نُجري بعض الأبحاث في أماكنَ متفرقة.

الرجل: إذن أعطونا بعض الوقود.

أحمد: إن ما لدينا لا يكفي!

الرجل: إذن اصحبونا معكم ... وسوف نعوِّضكم بوقود من المركب الكبيرة!

فكر «أحمد» قليلًا، ثم قال: أين هي؟

الرجل: في اتجاه الجنوب الشرقي، إن ذلك لن يُعطِّلكم كثيرًا!

نظر «أحمد» إلى الرجال على سطح الزورق قليلًا، ثم تقدم في اتجاههم حتى أصبح أمامهم، فظهر أحد الرجال بخرطوم طويل، أطاح به إلى الشياطين، وتلقَّفه «باسم» ثم جذبه، ونزل به أسفل الزورق، حتى إذا اختفى قال بصوت مرتفع: هل يمكن أن تسحب الوقود الآن؟

رد أحد الرجال: إنَّ زورقكم لا يزال بعيدًا، والخرطوم لا يصل إلى خزَّان الوقود عندنا.

فكر الشياطين بسرعة ... إن هذه قد تكون حيلة، حتى يستطيعوا القفز إلى الزورق، فتحفز الشياطين، وأخذ «أحمد» يقترب في هدوءٍ، حتى تجاور الزورقان، وفي أقل من ثانية، كان عدد من الرجال يقفزون إلى زورق الشياطين.

نهاية معركة وبداية أخرى

لم يتحرك أحد من الشياطين رغم أنهم توقعوا الشر ... وكما توقعوا تمامًا، ما إن وصلت أقدام الرجال إلى الزورق حتى كان أحدهم يُوجِّه لكمةً قوية إلى «مصباح»، الذي كان أقرب الشياطين إليهم، إلا أن «مصباح» كان أسرع منه، فقد مال بجسمه إلى اليمين، فجاءت اللكمة في الهواء ... ووجَّه لكمة مستقيمة إلى بطن الرجل؛ جعلته ينحني بكل جسده في اتجاه «مصباح»، الذي عاجله بلكمة أخرى في وجهه، جعلته يفقد توازنه ... أَعْقَبها بأخرى في وجهه أيضًا، جعلته يتهاوى ولا يستطيع أن يحتفظ بتوازنه فسقط في الماء.

في نفس اللحظة كان الشياطين قد اشتبكوا مع الرجال. طار «بو عمير» وتعلَّق بكابينة الزورق، ثم ضرب أحدهم ضربة مزدوجة بقدمه، جعلت الرجل يطير في الهواء، ثم يصطدم بمؤخرة الزورق.

في نفس اللحظة كان «أحمد» قد اشتبك مع آخر حتى سقطا في داخل الزورق، وكان الرجل قويًّا، حتى إنه ضرب «أحمد» ضربة جعلت «أحمد» يفقد توازنه، غير أنه في اللحظة التي ترنح فيها، كانت قدمه اليمنى قد طارت لتضرب الرجل في أنفه ضربة عنيفة، جعلته يدور حول نفسه ويسقط.

وكان «باسم» قد أمسك بذراع رابعهم، ثم دار به حول سارية من ساريات الزورق، فالتفَّتْ ذراع الرجل حول السارية حتى كادت تنكسر، وصرخ الرجل، إلا أن «باسم» كان قد عاجله بضربة قوية بقدمه، فأصابت بطنه ... ثم ضربَه ضربةً أخرى في رأسه جعلته يتهاوى، فدفعه بقوة فسقط في الماء.

تنبَّه «مصباح» إلى الرجل الأول الذي سقط في الماء، وكان قد عاد إلى زورقه، ثم اختفى داخله، فأسرع «مصباح» إلى حافة الزورق، ثم قفز إلى الزورق الآخر. كان الرجل قد خرج

في نفس اللحظة يحمل مسدسًا ... اختبأ «مصباح» خلف كابينة الزورق، حتى إذا اقترب الرجل، كانت قَدَمُ «مصباح» أسرع إليه من مجرد أن يفكر في شيء، فضرب المسدس من يده، فطار في الهواء، ثم سقط في الماء. وبسرعة كان «مصباح» قد قفز في الهواء ليضربه بكلتا قدميه، فترنَّحَ الرجل حتى سقط في قاع الزورق.

عندما نظر «مصباح» إلى زورق الشياطين، كانت المعركة قد انتهت، والرجال جميعًا في الماء. أسرع إلى قاع الزورق فأمسك بالرجل، ثم لوى ذراعه في قوة جعلت الرجل يصرخ، ثم صعد به إلى السطح. كان الشياطين يقفون في انتظاره، بينما كان الرجال في الماء قد تباعدوا كثيرًا ... نظر «مصباح» إلى الشياطين وقال: هل أتركه يلحق بهم؟!

قال «أحمد» بسرعةٍ: لا ... لا ... إنَّه قد ينفعنا!

دفع «مصباح» الرجل أمامه، حتى وصل به إلى زورق الشياطين.

في نفس اللحظة كان «أحمد» يقفز إلى الزورق الآخر، وهو يقول: ينبغي أن أجربه.

اقترب من الماكينة، ثم أدار المفتاح فزَعَقَ صوتُ الآلة، ودارت الماكينة، فنظر إلى الشياطين وقال: هيَّا الحقوا بي!

ضبط البوصلة على نفس اتجاه زورق الشياطين، ثم انطلق. غير أن زورق الشياطين كان قد تجاوزه، وكان واضحًا أنه أبطأ كثيرًا ... أشار «أحمد» إلى الشياطين فتوقف «بو عمير» الذي كان يقف في مكان القيادة، وعندما لحق به، اقترب منه، وقال «أحمد»: ما رأي الشياطين؟ هل نصحب الزورق، أم نتخلص منه؟

لم يرد أحد من الشياطين بسرعةٍ ... إلا أن «باسم» قال بعد قليل: أعتقد أنه سوف يُعطِّلنا كثيرًا ... يمكن أن نُحْدِثَ به عَطَبًا، ثم نلقي أثقاله، حتى يظل في مكانه، على أن يكون ذلك بعد مسافة أخرى؛ حتى لا يمكن استخدامُه بواسطتهم.

كانت هذه وجهة نظر طيبة، فانطلق «أحمد» بالزورق، وسار خلف زورق الشياطين، حتى إذا مضت نصف ساعة، توقف «أحمد» ثم أبطل الماكينة تمامًا، ونزل إلى المحرك فنزع أحد مساميره، واحتفظ به، ثم أنزل أثقال الزورق التي تجعله في مكانه لا يتحرك. في نفس اللحظة، اقترب «بو عمير» بزورق الشياطين حتى قفز «أحمد» إليه، ثم انطلق.

كان الرجل الذي صحبوه يجلس ساكنًا، ينظر إلى وَثاقه الذي أَوْثَقه به «مصباح»، واقترب منه «أحمد» وسأله: هل يمكن أن نتعرف إلى الزميل؟

نظر له الرجل في غيظ ولم يرد. فقال «أحمد»: إننا نستطيع أن نجعلك تنطق بالقوة، لكننا فقط لا نحب أن نؤلم أحدًا!

لم يرد الرجل. فقال «باسم»: لا بأس الآن، إنه يحتاج إلى بعض الراحة!

غمزَ «مصباح» وهو يقول: قد يجد راحته عندما نُلقي به ليلحق بزملائه!

ظهر الفزعُ على وجه الرجل، ثم قال بعد جهد: أيها الزملاء ... لا داعي ... لا داعي!

سأله «أحمد»: إذن دعنا نتعرَّف إليك ... إنك بالتأكيد سوف تجد فينا زملاءً ينفعوك!

هزَّ الرجل رأسه وقال: نعم، نعم. إنني أعتقد ذلك! وصمت قليلًا ثم قال: أُدْعَى «جيروم»، بحَّار قديم كما ترون ... أعرف جيدًا هذه الأماكن.

أحمد: دعني أسألك، مَنْ صاحب العمل؟

وقبل أن يُنْهِيَ «أحمد» سؤاله كان الرجل ينطق بسرعة: إنني لا أعرف بالضبط من هو صاحب العمل. إنني أعمل مع آخر، وأتقاضى أَجْرِي منه!

أحمد: مَن هو؟

جيروم: إنه يُدْعَى «بال»!

نظر الشياطين إلى بعضهم. وسأل «مصباح»: إلى أين نتجه الآن؟

جيروم: إلى الشرق؟

مصباح: إنني أعرف ذلك، ولكن إلى أي أرض؟

أدار الرجل عينيه بينهم، ثم قال مترددًا بعد لحظة: إلى ... إلى جزر «أزورس». ثم صمت قليلًا، وقال: هل يمكن أن تفكوا وَثَاقِي؟ ... إنني متعب الآن تمامًا!

بعد قليل وقف «أحمد»، ثم فكَّ وَثاقه ... وظل «جيروم» يُدَلِّك مكانَ الحَبْل، ثم قال: هل أطمع في سيجارة؟

باسم: لا أحد بيننا يُدَخِّن!

«جيروم» بعد قليل: هل أطمع في كوب من الشاي؟

هزَّ «مصباح» رأسه، ولم يكد يتحرك حتى كان «بو عمير» يقول: هناك شيء ما ... أمامنا!

لحظة ... ثم جاء جرس الإنذار في الزورق يُنْبئ عن وجود جسم صُلْب في الطريق ...

أسرع «أحمد» إلى المنظار المكبِّر، ثم ظل يضبط عدستيه، حتى أصبح الجسم واضحًا. كان عبارة عن زورق صغير، يبدو فوق ظهره بعض الرجال ... نظر «أحمد» إلى «جيروم» وسأله: ما هذا؟

تردد «جيروم» قليلًا، ثم قال: إنه ... إنه زورق! ثم أضاف بعد لحظة: إنني لا أراه جيدًا ... دعني أراه!

أخذ المنظار من «أحمد» ثم اقترب من حافة الزورق، وما هي إلا لحظة، حتى كان قد ألقى بنفسه في الماء، وغاص فيه. نظر الشياطين في إثره قليلًا ... كان «بو عمير» قد دار بالزورق حوله، وظل الشياطين ينتظرون ظهوره، وهم ينظرون في كل اتجاه، وفجأة هتف «باسم»: هذا هو! ...

كان «جيروم» قد ظهر بعيدًا، فقد كانت دورة الزورق واسعة، فأخذ «بو عمير» طريقه إليه، إلا أن «جيروم» اختفى مرة أخرى. فقال «بو عمير» بعد قليل: إننا يمكن أن نتخلص منه في مكانه ... إنه قد يُعطِّلنا ... فلا تزال الرحلة أمامنا طويلة.

صمت الشياطين قليلًا، حتى قال «أحمد»: لكنه يمكن أن يكون مصدر معلومات طيبة لنا، ما دام من رجال «بال».

باسم: هذا صحيح!

أشار «أحمد» إلى «بو عمير» أن يتجه إلى «جيروم» الذي كان يبدو بعيدًا. ومرة أخرى، اختفى «جيروم»!

هزَّ «باسم» رأسه وقال: اتجه إلى مكانه ... سوف أقبض عليه!

اقترب الزورق من «جيروم» الذي لم يكن قد ظهر بعد، وظل الزورق ثابتًا في مكانه؛ بينما كان الشياطين يرقبون جميع الاتجاهات.

فجأة ظهر «جيروم» على بعد حوالي مائة متر، فقال «باسم»: سوف أنزل من الجانب الآخر ... بعد نزولي بدقيقتين، أطلقوا عليه إبرة مُخَدِّرة!

ما إن انتهى من كلامه، حتى نزل إلى الماء ثم غاص فيه، وكان «جيروم» يسبح مبتعدًا، عندما همَّ «أحمد» بإخراج مسدسه ... وفي نفس الوقت كان الزورق البعيد يأخذ طريقه في اتجاههم، في نفس اللحظة التي كان فيها «جيروم» يرفع إحدى يديه، مشيرًا في اتجاه الزورق إشارات كان من الواضح أن لها معنًى. أسرع «أحمد» بإطلاق الإبرة المخدرة، ومضت لحظة، ثم أخذ «جيروم» يختفي ... لكن في خلال لحظات كان «باسم» يظهر على السطح وهو يحمل «جيروم» على ظهره.

أسرع «بو عمير» بالاتجاه إليه ... وقال «أحمد»: إننا سوف نشتبك معهم حالًا.

اقترب الزورق حتى وقف بجوار «باسم»، فأخذوا بيد «جيروم». ثم صعد «باسم». وفجأة، دق جرس الإنذار ... أسرع «أحمد» بالضغط على زر الرادار، فأضيئت شاشة وظهر جسم أسود، ليأخذ طريقه إلى الزورق. قال «أحمد»: إنه قذيفة مائية!

كانت القذيفة متجهة ناحية زورق الشياطين في سرعة مذهلة ... فأسرع «أحمد» إلى ذراع القذف، ووجه البوصلة الخاصة بالقذائف ... في اتجاه القذيفة القادمة، ثم أطلق

قذيفة انطلقت في قوة. ولم تمضِ دقيقة حتى ارتجفت المياه ... ثم اندفع عامود من الماء إلى السماء، وقال «أحمد»: لقد أصبنا الهدف، وانفجرت القذيفة. وصمت لحظة ... ثم قال: لقد بدأت المعركة.

الصراع ... بقذائف الأعماق!

كانت أعين الشياطين مركزة على شاشة الرادار، حتى يمكن مراقبة أي قذائف أخرى ... وكانت يد «أحمد» فوق يد إطلاق القذائف، في انتظار ما يحدث ... طالت لحظة الانتظار، وأصبح واضحًا الآن أن المعركة سوف يكون لها شكل آخر ... وأساليب أخرى ... كانت شاشة الرادار توضح في أعلاها نقطة سوداء ثابتة، وكان واضحًا أنها الزورق المضاد، فقال «أحمد»: هل نُطلق عليه قذيفة مباشرة؟

لكن لم يرد أحد من الشياطين بسرعة، وفي النهاية قال «بو عمير»: إننا حتى الآن لا نعرف حقيقة هذا الزورق، إن مهمتنا أن نستفيد من «جيروم»!

أحمد: هذه فكرة طيبة ... على «مصباح» و«باسم» أن يبدآ المهمة!

كان «جيروم» يرقد في قاع الزورق، فاتجه إليه الاثنان ... كان لا يزال يرقد مخدَّرًا بتأثير الحقنة، وقال «مصباح»: إننا نحتاج إلى شيء مُنبِّه.

أسرع «باسم» إلى مطبخ الزورق، ثم بدأ يبحث عن شيء. لكنه تذكر بسرعة أنه يمكن أن يجد شيئًا في صيدليته. وهناك وجد زجاجة، فملأ قطنةً منها، ثم أخذها بسرعة إلى حيث يرقد «جيروم»، وقبل أن يتطاير الأثير من القطنة قرَّبها من أنفه، حتى كادت تدخل فيه ... استنشق «جيروم» لحظة ... ثم ظهرت على وجهه دلائل الرفض ... أمسك «مصباح» بأنفه ليُرغمه على الاستنشاق من الأثير، لكن «جيروم» أخذ يقاوم ... أصرَّ «باسم» على الاحتفاظ بقطنة «الأثير» عند أنفه. وعندما رفع «مصباح» يده، تنفَّس «جيروم» بعمق؛ فقد امتلأت رئتاه بالأثير الذي جعله يسعل بشدة، ثم بدأ يُفيق شيئًا فشيئًا. وأسرع «باسم» وأعدَّ له كوبًا من الشاي الساخن، وعندما عاد كان «جيروم» قد أفاق تمامًا، فقدَّم له «باسم» كوبًا من الشاي، فأخذه بسرعة ... وبدأ يحتسيه في سرور ...

قال له «مصباح»: أظن أنك أحسن كثيرًا الآن!

هزَّ «جيروم» رأسه، وأضاف «مصباح»: هل تخلع ملابسك، حتى نضعها لك في الشمس؟

نظر له «جيروم» قليلًا، ثم هزَّ رأسه موافقًا. أخذ «مصباح» ملابسه ثم علَّقها على حبال الزورق. فقال «أحمد»: إنها سوف تكون مثيرة بالنسبة لهم ... إنها تحمل إشارة معينة، يمكن رصدها!

مصباح: إنَّ ذلك يجعل لحظة الصدام قريبة ومثيرة!

نزل «مصباح» مرة أخرى إلى حيث يرقد «جيروم»، وكان الزورق ثابتًا في مكانه لا يتحرك، وكان الزورق الآخر على نفس الحالة.

نظر «أحمد» إلى «بو عمير» وقال: سوف أنزل إلى «جيروم» ... لا بدَّ أن نستفيد منه.

ظل «بو عمير» راصدًا حركة الزورق الآخر ... في نفس الوقت الذي نزل فيه «أحمد» إلى «جيروم». فوجده جالسًا في هدوء، وتبدو عليه علامات الرضا ... اقترب منه «أحمد» قائلًا: هيه أيها الصديق «جيروم». هل نعقد اتفاقًا؟

لم يردَّ «جيروم» بسرعة، غير أنه قال بعد قليل: استمعوا إليَّ جيدًا ... إن العصابة ... ولم يُكمل، لقد أدرك أنه قد أخطأ في الحديث، لكنه تدارك بعد لحظة: إنَّ البحَّارة هناك يعرفون الآن أنني هنا ... وأي حركة سوف تقومون بها، أكون أنا مصدرها ... لا تضعوني في الموقف الصعب!

أحمد: أظن أنك تستطيع الانضمام إلينا، ولا داعي للعودة إلى العصابة!

لم ينطق «جيروم»، فسأله «أحمد»: هل لكم قاعدة بحرية هنا؟

ظل «جيروم» صامتًا لا يرد على أي سؤال يوجهه إليه أحد من الشياطين، ولذلك فقد قال «أحمد» أخيرًا: إنني أستطيع الحصول على ما أريد من المعلومات ببساطة ... ما رأيك؟ وأشار إلى «مصباح» الذي تحرك، وعاد بصندوق متوسط الحجم ... نظر له «أحمد» وقال: إن هذا الصندوق يستطيع أن يحصل على اعترافك!

فجأة، سمِع الشياطين صوت «بو عمير» يقول: لقد اختفى الزورق!

أسرع «أحمد» إلى «بو عمير». كانت شاشة الرادار خالية تمامًا من أي علامة. وفجأة، دَوَّى جرس الإنذار، وظهر جسم أسود يندفع إلى زورق الشياطين. قال «أحمد»: إنها قذيفة أخرى ... تحرك!

أسرع «بو عمير» بالانطلاق، إلا أن القذيفة ظلت مندفعة في اتجاه الزورق. عرف «أحمد» أنها قذيفة مُوجَّهة، فأسرع إلى ذراع إطلاق القذائف، وضبط البوصلة مع الرادار،

ثم جذب الذراع، فانطلقت قذيفة في لحظات، ثم ارتجَّت مياه المحيط، وارتفع عامود الماء إلى عَنان السماء. فابتسم «بو عمير» وقال: لقد أصبت الهدف!

كانت لحظة مشحونة بالتوتر. إن هذه المحاورة يجب أن تنتهي ... ظلت عينا «أحمد» فوق الرادار، لكن لم يكن هناك شيء ... أسرع «أحمد» إلى حيث كان «جيروم»؛ إنه الوحيد الذي يمكن أن يُنهيَ هذا الموقف ... أشار إلى «بو عمير» أن يظل في انطلاقه تبعًا لاتجاه البوصلة، إلى النقط التي حددها «خالد» منذ البداية، ونظر إلى «جيروم» وقال: ما رأيك أيها الزميل، هل نصل إلى اتفاق، أو نأخذ معلوماتنا بالطريقة التي نعرفها؟!

صمت «جيروم» ولم يرد ... أخذ «أحمد» يده ثم أدخلها في ثقوب الصندوق، فأسرع «جيروم» بسحب يده، إلا أن شيئًا داخل الصندوق كان قد قبض على أصابعه. قال «أحمد»: ما رأيك الآن؟

لم يرد، غير أن معنًى ساخرًا كان قد ظهر على وجهه، فضغط «أحمد» على زِر في الصندوق، فصرخ «جيروم» ثم قال: سوف أقول! سوف أقول!

رفع «أحمد» يده عن الزر، فهدأ «جيروم»، وإن كان قد ظل يتألم بعض الوقت. وفي النهاية بدأ يتحدث ... إلا أن «بو عمير» كان قد أعلن بصوت مرتفع: هناك جسم ظهر على الشاشة.

أسرع «أحمد» إليه، وترك «باسم» و«مصباح» يسمعان ما يقوله «جيروم». كان هناك جسم يتحرك بعرض الرادار، غير أنه بعد لحظات اختفى في منتصف الشاشة تمامًا.

قال «أحمد»: إن الجسم يأخذ طريقه كما هو. هناك فقط إشعاعات تؤثر على الرادار، مصدرها الجسم نفسه، وينبغي أن نتصرف.

ظهر «باسم» واقترب من «أحمد» قائلًا: لقد اعترف «جيروم». هناك محطة بحرية قريبة من هنا، ومنها تخرج زوارق تقوم بنسف ناقلات «زوس»!

فجأة، سمعوا صوتًا قويًّا لسقوط جسم ما ... أسرع «باسم» إلى عمق الزورق ... وهناك كانت تدور معركة بين «مصباح» و«جيروم». كان «جيروم» قد ضرب «مصباح» فجأة ... في صدره بقدمه، ثم قفز متحفزًا، إلا أن «مصباح» كان قد قفز قفزةَ الثعبان طائرًا في الهواء، ثم ضربَ «جيروم» ضربتين متتاليتين، وجعله يسقط هذه السقطة التي سمعوها.

وقف «باسم» دون أن يتحرك، بينما كان «جيروم» ممددًا في قاع الزورق، وأسرع «مصباح» وأمسك بذراع «جيروم» ثم جذبه بشدة، ولوى الذراع إلى الخلف في نفس الوقت

ثم دفعه أمامه، فقام «باسم» بربطه بأحد حبال الزورق، ثم عاد الاثنان إلى حيث يقف «أحمد» و«بو عمير».

قال «أحمد»: إن مهمتنا أن ندع ناقلة «زوس» تمر بسلام ... ليس فقط من أجل شركات التأمين، ولكن أيضًا من أجل «خالد» ... إنه فوق الناقلة مع الكابتن «بال» ... إن علينا الآن أن نعثرَ على هذا الزورق!

قال «باسم»: ينبغي أن نتوقف قليلًا؛ إن الزورق يقوم بمهمته في هذه المنطقة!

نظر «بو عمير» إلى مقياس السرعة أمامه، ثم قال: إننا الآن في دائرة جزر «أزورس».

توقف الزورق وقال «مصباح»: أقترح أن ننزل أنا و«باسم» إلى الأعماق ... ربما يكون الزورق من طراز حديث، ويمكن أن يؤديَ دور الغوَّاصة في بعض الأوقات!

لم يردَّ أحد من الشياطين، غير أن «أحمد» قال بعد لحظة: انزلا، وسوف أكون في انتظار رسالة منكما.

لم تمض لحظات حتى كان الاثنان ينزلان الماء في هدوء ... ثم يختفيان فيه ... أوقف «بو عمير» محرك الزورق، فلم يعد هناك صوت، ثم قال: لماذا لا نجرب رادار الأعماق؟

نظر له «أحمد» لحظة ... ثم ضغط زِرًّا في أسفل جهاز الرادار أمامه ... فبرقت الشاشة ثم ظهر جسمان يتحركان ... قال «بو عمير»: إنهما «مصباح» و«باسم»!

فجأة ظهر جسم آخر يتحرك ناحيتهما ... فقال «أحمد»: لا بدَّ أنه الزورق!

ظلا يرقبان حركة الأجسام على شاشة الرادار، إلى أن انطلق جسم رفيع من الزورق، يأخذ طريقه إلى «مصباح» و«باسم». هتف «أحمد»: لقد رصدهما الزورق!

مر الجسم الرفيع بينهما دون أن يصيبَ أحدَهما، ولمعت لمبة جهاز الاستقبال، فعرف «أحمد» أن هناك رسالة في الطريق. بدأ يتلقى الرسالة، وكانت من الشياطين. جاءت الرسالة: السمكة الصغيرة عند النقطة «ف» ثابتة!

فهِم «أحمد» الرسالة، فضبط البوصلة على النقطة «ف» ... ثم أمسك ذراع الإطلاق، بينما كانت عينه على الرادار، عندئذ لمعت اللمبة الحمراء في جهاز الاستقبال، فأسرع يتلقى الرسالة وكانت تقول: يصل الحوت في الصباح!

عرف أن الرسالة من «خالد» وأن الناقلة سوف تصل إلى النقطة التي سوف تضرب فيها في الصباح، وأحكم النيشان، ثم جذب الذراع، فانطلقت قذيفة الأعماق، وكانت واضحة على شاشة الرادار ... وهي تأخذ طريقها حيث يقف جسم الزورق. ظل يتابعها، حتى اصطدمت به، فتناثرت أجزاؤه ... في نفس اللحظة كان «باسم» و«مصباح» يأخذان طريقهما إلى زورق الشياطين.

أشار «أحمد» إلى «بو عمير» أن ينطلق في اتجاه الهدف. فتحرك الزورق في سرعة، وكانت الشاشة تسجل اقتراب «باسم» و«مصباح» حتى ظهرا على السطح، فالتقطهما زورق الشياطين ... في نفس اللحظة كانت تطفو بقع الزيت على السطح، وبعض قطع الزورق.

فجأة اهتزَّ الزورق اهتزازًا عنيفًا ... وكانت مجموعات من سمك القرش تدور حول الزورق، بعد أن أثارتها رائحة البحَّارة الذين سقطوا من الزورق الذي نُسِف.

أخذ الزورق طريقه إلى النقطة الأخيرة التي حددها «خالد»، وفي نقطة مخالفة توقَّف الزورق، وألقى مراسيَه. ولم يكن أمام الشياطين شيء ... سوى انتظار وصول الناقلة.

كان الوقت يمر بطيئًا ... حتى جاء الليل ... كانت الظلمة شديدة. غير أنهم لم يفكِّروا في إضاءة أي ضوء. وطَوال الليل، تناوبوا الحراسةَ حتى بدأ النهار وكانت وردية «أحمد». ومن بعيد شاهد ناقلة عملاقة تقطع المحيط، فأرسل رسالة سريعة إلى «خالد» يُخبره فيها بما حدث. فردَّ «خالد»: تحية إلى الشياطين!

وأرسل «أحمد» رسالة أخرى: في رعاية الله، إن المغامرة لم تنتهِ بعد.

وعندما استيقظ الشياطين، نقل إليهم «أحمد» الرسائل التي تبادلها مع «خالد» ... وفعلًا لم تكن المهمة قد انتهت ... كانت هناك القاعدة البحرية التي تنطلق منها أدوات الدمار!

أرسل «أحمد» رسالة إلى رقم «صفر» بما حدث ... فرد رقم «صفر»: تهنئتي ... ولا تعودوا قبل أن تُنجزوا مهمتكم كاملةً بنجاح.

هنـــداوي